

تيمة الجسد ودلالاتها الجمالية في قصيدة النثر النسوية الجزائرية قراءة في نماذج

The theme of the body and its aesthetic significance in the Algerian feminist prose poem, reading in examples

ط.د آمال ميلودي¹

تاريخ النشر سبتمبر 2025	تاريخ القبول 2024/04/27	تاريخ الإرسال 2023/12/25
-------------------------	-------------------------	--------------------------

الملخص:

شهدت الساحة الأدبية والنقدية قضايا فكرية وإبداعية منها الكتابة النسائية وما تلتحفه من علائقية متشظية عبر تمثيلات ثنائية الأنا والآخر حيث شكلت حراكا إبداعيا وفكريا بارزا، وعدت محورا أساسيا شغلت الصرح الإبداعي الفني والأدبي، ولم تكن القصيدة النسوية الجزائرية بمنأى عن هذه القضية أين شكلت عبر النصوص الشعرية حركية دينامية، وبؤرة توالدية معقدة ومتشظية تمظهرت بأشكال وتصورات رؤياوية غلبت عليها كثافة الحملات الدلالية المخاتلة وألبستها الذات/ الشاعرة ثوبا من الهلامية والعبثية عبر التعددية الدلالية وأبعادها الرؤياوية الزئبقية التمردية التي تحيكها العلاقات المتشظية بين تداعيات ثنائيات الأنا والآخر بتشكيلاتها وتمظهراتها المركبة إما تألفية تخالفية، مركزية هامشية، اشتراكية فردية، تتعانق وتتقاطع، تتناسل وتتفارق، تحاكي وتراوغ مشكلة شطحات انفعالية تشع إيحائية وتضمّر مخاض تجربة تعالقية ترابطية بطاقات تصويرية تلبسها الذات الأنثوية قضايا محورية، تنبض من شريان الهوية بتراكمية ممغنطة محمّلة بصور الذات والغيرية تبث عبرها الذات/ الأنا شجونها وتجسد علائقيتها ورباطها بالآخر/ الغير في مختلف تصوراتها وأطيافه. وسيحاول هذا البحث الولوج إلى قصيدة النثر النسوية الجزائرية من خلال نماذج مختارة لكل من الشاعرات نعيمة نقري، زهرة خفيف، حليلة قطاي. للكشف عن صور الذات والغيرية عبر التيمات المنتقاة في قصيدة النثر النسوية الجزائرية وتمثلاتها عبر التجارب الشعرية والمغامرات التمردية للذات الأنثوية وإبراز جمالياتها وإشراقات حملاتها الدلالية.

الكلمات المفتاحية: تيمة - الجسد - دلالة - جمالية - قصيدة النثر - نسوية.

Abstract:

The literary and critical arena witnessed intellectual and creative issues, including women's writing and the relational nature it entails, fragmented through dualistic representations of the self and the other, which formed a prominent creative and intellectual movement, and was considered a basic axis that occupied the artistic and literary creative edifice. The Algerian feminist prose poem was not immune to this issue, as it was shaped through texts. Poetry is dynamic, dynamic, and a complex and fragmented generative focus that manifests itself in visionary forms and perceptions that are dominated by the density of misleading semantic loads, and the self/poet dresses it in a guise of frivolity and absurdity through semantic pluralism and its mercurial, rebellious visionary dimensions woven by the fragmented relationships between the repercussions of the dualities of the self and the other, with their confusing formations and manifestations, either monolithic, heterogeneous, or central. Marginal, socialist, individualistic, embracing and intersecting, reproducing and separating, simulating and evading the problem of emotional outbursts that radiate suggestive and harbor the throes of a relational, associative experience, pictorial cards worn by the female self, pivotal issues, pulsing from the artery of identity with a magnetic accumulation loaded with images of

¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 miloumel6@gmail.com

the self and otherness, through which the self/ego broadcasts its sorrows and embodies its relationality and connection. With the other/the other in its various perceptions and spectrums. This research will attempt to delve into Algerian feminist prose poetry through selected examples of poets Naima Naqri, Zahra Khifif, and Halima Qatay. To reveal images of the self and otherness through selected themes in the Algerian feminist prose poem and their representations through poetic experiences and rebellious adventures of the female self, and to highlight their aesthetics and the radiance of their semantic loads.

Key words: Theme - the body - significance - aesthetic - prose poem - feminist

*** **

آمال ميلودي miloumel6@gmail.com

مقدمة:

تعددت موضوعات الذات الشاعرة ودوافعها في استنطاق عوالمها الباطنية وانفعالاتها مع القضايا الواقعية والوجودية التي تتخبط فيها بين مد المجتمع/ الذكوري وجزر الرؤى السلبية ونظراته الدونية للذات الأنثوية ورميها في غياهب الوأد والهامشية فظلت تتأرجح " الذات بين الإحساس المؤلم بتبعيتها لما هو سائد والاعتراف به كواقع، وبين الإنصات إلى رغبات الجسد السالبة"، مما جعلها تُغتال من طرف آخر /المجتمع الذكوري...، الذي يحجب عنها الخصوصية الأنثوية والحرية الفكرية ويطمس أبعادها الفنية الرؤيائية وتطلعاتها الإبداعية، إلا أن الشاعرة الجزائرية لم تبق حبيسة هذه الوطأة فسلكت سبل التجاوز والتمرد والتوثب، وكسر الحواجز وبناء صرح في إبداعي عبر تجربتها الشعرية الشعورية ورغبتها التحررية وإثبات ذاتها الوجودية فأضحى النص "مسكن تخيلي للجسد، فيه يتجسد ويحقق وجوده المتخيل"، حيث اتسمت قصائدها النثرية بتيمات تُفرغ ما في جعبة الذات والواقع من قضايا وممارسات الآخر عليها كما رصعت الأسطر الشعرية بالمفردات " الدالة على الثورة والمرأة والتفوق داخل الجسد الأنثوي وما تعانيه الأنثى من مجتمع له عاداته وتقاليده من حجب وتضييق وإرهاق حيّز كبير، حتى بدت النصوص في غاية الأنوثة، تعبر عن أحاسيس النساء أكثر مما تعبر عن الإنسان"ⁱⁱⁱ، فالتجأت المرأة المبدعة لتسخير طاقاتها الإبداعية الأنثوية من خلال لغة الجسد بمدلولاتها المغمطة، وذلك كون " الإنصات للجسد الأنثوي، يولد لغة مغايرة للسائد، مستحضرة عالم التمثيلات الذهنية والتخييلية، لغة تجاوزت الواقع إلى الممكن والمحتمل"^{iv} عبر فضائها التخيلي وفسيفسائها الدلالية وإحياءاتها الجمالية المتسلسلة في مسامات الجسد النصي في تلاعب انسيابي تجاوزه يشكل ملاذا للروح فقد "سئمت الشاعرة الجزائرية التعبير عن همومها ضمن نسق ذكوري، فولجت إلى المحظور وعبرت عن تمايزها الفكري والبيولوجي بلغة الجسد"^v، في مناخ تعبيرية مستفز يتلون بتلون التجربة الشعرية في اغتصاب للحدود الموضوعية وكسر الطابوهات والتمرد على كل الحواجز الممنوعة، في ارتحالية ثورية توهجية تبحث عن استقلالية رؤيوية فنية وفكرية تتكشف من خلالها طاقاتها الشعرية وتجربتها الانفعالية المتمنعة، وتحجز لها مساحة في صرح الإبداع للإفصاح عن كوامن الذات الأنثوية عبر ممارساتها الشعرية الإبداعية.

وستحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة عن الإشكاليات التالية: ما هي تجليات تيمة الجسد وتمظهرات صور الأنا والآخر عبرها في قصيدة النثر النسوية الجزائرية؟ هل استطاعت الشاعرة الجزائرية عبر تجربتها في قصيدة النثر النسوية استنطاق تيمات المنتقاة وفرز العلائقية التناسلية التقاطعية بين الذات والغيرية، ومعالجتها لقضايا وجودية؟ ما مدى استهلاك الأنا الأنثوية لمقوماتها وخصوصياتها الهويوية في سبيل إيصال ومعالجة قضايا الذات ومعاناتها مع الغيرية؟ وما هي أبعادها الفكرية والرؤيائية التي اتخذتها تيمات النصية مطية لتقييم توازنها جذريا وتبني صرحا إبداعيا ينطق بحرية؟

1- الجسد بين المفهوم والمُدلول :

يشكل الجسد بؤرة دلالية ذات أبعاد تعبيرية وعوالم تتأرجح بين الواقع والتخييل وفق مراسم تموضعاته، وفي مختلف مجالات الحياة وتمفصلاتها بحيث لا يعد "موطن الروح والنفس والعقل والحواس فقط؛ أي موطن كل ما يمكن من الحياة، ولكن أيضا لأنه مخزن كل العناصر الغريبة والعجيبة التي تتبلور في عدة صور من المجتمع، إنَّ هذا الالتباس هو ما يجعل الجسد مفهوما أصيلا، ومرجعيا لكل ما يؤسس الحياة والموت"^{vi}، فيحمل أبعادا ذات حمولات دلالية لانهائية تتلاقح في التحام لتشكّل رؤية خاصة ومتجددة وفقا لطرق استدراجه ومقام استحضاره .

2- علائقية الجسد بالذات الأنثوية :

اتخذت الذات الشاعرة من الجسد بؤرة انطلاق وتحرر كون " الجسد كان- وما زال- مادة نشطة للنشاط الثقافي، في بعده الخيالي، وفي بعده اللغوي"^{viii}، بحيث حملت في ثناياها دلالات متنوعة تنم عن علائقية حميمة وتناسلية تفاعلية بين الجسد وتمظهراته ومحمولاته الدلالية (الجسد الوطن، التحرر، التمرد، الألم والحزن...)، عبر تلاعب بطاقات الفضاء النصي التعبيرية وكثافتها التصويرية المنبعثة من فيض وعي الذات بقضايا الواقع وعلاقاتها مع الآخر فهي بذلك تخترق المألوف عبر التجاوز وتحقيق المختلف في " محاولة بديلة لصنع ذات أكثر تماسكا، أكثر مواجهة للعالم، أكثر قدرة على الحضور الدائم، في مقابل الذات الإنسانية المعاشية لضعفها الإنساني والاجتماعي"^{viii}، مما جعل "بروز خصوصيتها أكثر في "شعرية الجسد" الذي تجاوزت من خلاله الواقع الاجتماعي/السياسي السائد، جاعلة من الجسد مساحة للتحرر والعنف والتعبير والتغيير"^{ix}، فانفتحت رؤى الذات الشاعرة على عوالم جديدة فتحت لها مجالات للروح والثورة، وإبراز الطاقات الشعورية حيث اكتسبت نصوصها أبعاد هوية ذات خصوصية فنية تجديدية واعية.

3- تيمة الجسد ودلالاتها الجمالية في قصيدة النثر النسوية الجزائرية :

تقول الشاعرة نعيمة نقري في مقطع من قصيدة "أنت":

"يَحْدُثُ أَنْ أُنْسَى فَتُذَكِّرُنِي

أَطْرَافُ أَصَابِعِكَ الزَّرْقَاءِ

بِكُلِّ تَفَاصِيلِ يَدِي

بِحَرَائِقِ شَعْرِي

بِتَمَائِمِ رَائِحَتِي

وَأَدَقِّ مَقَاسَاتِي؟"^x

تتمايل النفثات الشعورية بتقلباتها الانفعالية وهزاتها الارتدادية ناسجة تلاوين تجربة شعرية لذات أنثوية مهمومة محزونة في ارتحالية تلتحفها أزومات متتالية تننكر خلفها أفعال الآخر الذكوري الغير إنسانية التي تبث وترسخ وشمها الغاصب للحرية الأنثوية وبصمتها على صفحات الذاكرة وفي أنحاء الحياة الوردية، والتعصب للنظرة السلبية الممزقة لرغبات الذات وممارساتها الفكرية والرؤية (يحدث أن أنسى فتذكرني/ أطراف أصابعك الزرقاء/ بكل تفاصيل يدي/ بحرائق شعري/ بتمائم رائحتي)، فتتعالى أصوات الذات وتشنجاتها عبر توهج انفعالي وحوارية توترية ترتسم تعاليمها عبر مسامات الأسطر الشعرية في استذكار وتعرية سلسلة أشرطة مأساوية تمزقية تنثر بقاياها وشظايا تجربتها الوجودية في ظل وجود النظرة الهامشية، وإرساء قواعد الفحولة والتقاليد الاجتماعية بكل سلطة استفزازية "فالمرأة المبدعة تصغي إلى جسدها، ومن خلال جسدها تبحر في عوالم الذات" ^{xi}، فتتنزل الدفقات الانفعالية لتصطدم بتساؤل إشكالي ممغنط يحمل في طياته إشعاعات تعجب من واقع مأزوم في استمرارية لتهميش الذات الأنثوية بكل تفاصيلها الوجودية دون وقف أو محدودية (وأدقّ مقاساتي؟)، فتتداعى النبضات الشعورية بحمولتها الدلالية وكثافتها الإيحائية وتراكيبها التصويرية تراود المتلقي في اللحظة الكشفية للغوص في غياهب النص واقتناص خباياه الجمالية ومدلولاته المتملصة، فتتناسل المدلولات النصية والطاقات التعبيرية لتشكل تجربة الذات الأنثوية المأزومة من واقع سوداوي يرسخ الهامشية.

كما نلاحظ في مقطع من قصيدة "انتظرها" للشاعرة زهرة خفيف نقول:

"انتظرها

تسرح شعرا

تكحل رمشا

وتطلي أظافرها

انتظرها

هناك انتظرها ليوم الغد

ففستانها المخملي...ترتدي

وترخي الضفائر

عليها جدائل

كليل بهيم

أرخی سدوله عليها ابتلاء

وتنقش في يدها انتشاء

فهذا، ...

حرقوس، في ظاهرها

وتلك...

حنّة، في باطن اليد

هناك انتظرها ليوم الغد^{xii}

تتراسل الذبذبات الانفعالية للذات في انسيابية تفاعلية مشكّلة فسيفساء نصية تتعالى عبر أسطرها الشعرية صور مشهدية لتجربة شعرية شعورية تلتحف عنفوان الذات الأنثوية المتملصة من كل ممارسات التقييد والسلطوية، في استدراج للجسد بتفاصيل منتقاة تصور تلاوين استهزائية تمردية على كل الحواجز من خلال شطحات الذات ومناغاتها لرغباتها بكل حرية (انتظرها/ تسرح شعرا / تكحل رمشا/ وتطلّي أظافرها/ انتظرها)، فتتداعى انفعالات الذات عبر شرايين الأسطر الشعرية لترصع مدلولاتها التخيلية والتعبيرية بكثافة إيحائية تثير رغبة المتلقي الكشفية لاستنطاق حمولاتها الدلالية والنبش في عوالم النص عن بؤره الجمالية المنفلتة، فتتعاط الذات عبر تجربتها الشعرية جرعات تحريرية (هناك انتظرها ليوم الغد/ ففستانها المخملي...ترتدي / وترخي الضفائر/ عليها جدائل/ كليل بهيم/ أرى سدوله عليها ابتلاء/ وتنقش في يدها انتشاء/ فهذا/ حرقوس، في ظاهرها/ وتلك/ حنّة، في باطن اليد/ هناك انتظرها ليوم الغد)، في تراكم انفعالي مكثف تفصح فيه عن قدرتها الإبداعية حيث "أنها تعترض عصر تلك النظرة (التابو) للجسد، التي تعمل على إلغائه وتحقيقه من خلال تهميشه"^{xiii}، و تتمظهر طاقاتها التجاوزية لقوانين الآخر التهميشية، والتوثب إلى عوالمها بكل حرية وإبراز رؤيتها للواقع ولأنها في علائقيتها مع الآخر، وإثبات ذاتها الأنثوية وهويتها الإبداعية.

تقول الشاعرة "حليمة قطاي" في مقطع من قصيدة "حين تزلقُ المعارُجُ...إلى فيها !:

"يلزمنّا أنفٌ آخر..

فالوجه الجذّاب

كشفت كلّ مساحيق الأُمس

عن سحنته،

وتصدى للبحر الخائفِ

باللون الحبشي...الشّاحب..

الغرفة باردة جدا

والخيمة تتأبطُ دفنا

والقصر العاجيُّ

يلتمس حصانا عربيا مخصيا

تنداعى الطاقات الانفعالية وتداعياتها النفسية المتولدة من رحم تجربة شعورية للذات الأنثوية فتندسل بحمولتها المأزومة لتعانق أنها المتعالية عن حياة الزور وطلاسم الذكورة، و" تتجلى في تعرية كثير من القضايا تشتغل خلال صيرورة المجتمع باعتبارها مسكوتا عنها"^{xv}، فتحجز لكيانها الأنثوي مساحة بوح اختزالية لتمرغ الآخر في ظلامية القوة وظلالية الاستكانة والاستعبادية المولدة للخناق والسلبية (يلزمنا أنف آخر... / فالوجه الجذاب/ كشفت كل مساحيق الأمس/ عن سحنته)، فتتراكم الحملات الانفعالية لتكمل رحلتها البحثية عن رقعة هوية أنثوية إبداعية في انفلات من هشاشة الواقع وتأزم المجتمع وتصدعاته (وتصدى للبحر الخائف/ باللون الحبشي... الشاحب... / الغرفة باردة جدا/ والخيمة تتأبط دفئا/ والقصر العاجي/ يلتمس حصانا عربيا مخصيا/ مبتور الساقين/ يُكمل رحلتنا...)، فتلتحف الذات رغباتها في تكشف الحقيقة وإذابة الأقنعة وتعرية المخبوء عبر محاكاة الوجود وملامسة القضايا الوجودية، ومعادلاتها العكسية بحثا عن حلول جذرية بلغة انزياحية تتناسل فيها الهوية الفنية والفكرية حيث "أسست الشاعرة الجزائرية لأنساق خطابية خاصة بها دون نية مبيتة لمخافة الرجل- على الأرجح- من خلال شعورية أنثوية ميزاتها: الحزن، الحب، السرد، الجسد"^{xvi}، فتنبجس رؤاها للواقع وعلاقة الأنا/ الآخر عبر استدراج لغة الجسد في تفاعل يربك المتلقي ليكشف عن مكونات النص وقبساته الجمالية المرتمية في أحضان تراكيب الجسد النصي وتشكيلاتها الممغنطة المولدة لكثافة دلالات الفضاء النصي، وانزياحاته التعبيرية التي تنداعى عبرها انفصالات الذات وحواريتها مع قضايا الأنا والعالم، وتبنمها لهويتها الفكرية والرؤية عبر لغة منتقاة لترجمة تجربتها الشعرية الشعورية.

4. خاتمة:

- شكلت التجربة الشعرية للذات الأنثوية من خلال قصيدة النثر النسوية الجزائرية بؤرة بوح استفزازية تعالت عبرها انفصالاتها مع الآخر بكل تمظهراته وتلاوين ممارساته الواقعية .
- استحضرت الذات الشاعرة تيمة الجسد بمدلولات متنوعة امتطت عبرها رؤيتها الفنية والفكرية والاستشراعية للوجود وعلائقيتها مع الآخر والرغبة في فرز علائقيتها، وإثبات خصوبة طاقاتها التعبيرية التخيلية وبكورة تجربتها الشعرية الشعورية.
- استطاعت الشاعرة الجزائرية خلق فضاء نصي/شعري يحمل أبعادها الهوية، ويلتحف كيائها وعنفوانها الرؤيوي عبر لغة الجسد في توثب وتمرد على المحظور في كشف للمخبوء، ومعالجة المبتور، وتجاوز الحدود الموضوعة، في رحلة بحثية عن القيم الإنسانية وتصوير القضايا الوجودية .

5. الهوامش:

- ⁱ - محمد نور الدين أفاية: الهوية والاختلاف في المرأة والكتابة والهامش، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1988، ص 19.
- ⁱⁱ - فريد الزاهي: النص والجسد والتأويل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 1، 2003، ص 7.
- ⁱⁱⁱ - ناصر معماش: النص الشعري النسوي العربي في الجزائر- دراسة في بنية الخطاب-، دار آذار للطباعة والنشر والتوزيع، العلمة، د ط، 2005، ص 24.
- ^{iv} - رزيقة بوشلقية: التشكيل الفني في الشعر النسائي الجزائري المعاصر، ميم للنشر، ط 1، 2015، ص 256.
- ^v - وداد بن عافية: الشَّعْرُ النِّسْويُّ الجَزائريُّ سياق التكوين، البنية وإبدالاتها، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، 2015، ص 58.
- ^{vi} - وهيبة بوربعين: الدلالات الرمزية للجسد الأنثوي بين الدين والأنثروبولوجيا، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، العدد 2، المجلد 16، 2020، ص 372.
- ^{vii} - عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، ج 2، بيروت، ط 1، 1989، ص 70.
- ^{viii} - علاوة كوسة: رمزية الجسد في رواية "الكرسي الهزاز" لأمال مختار، مجلة المعيار، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر العدد 1، المجلد 9، 2018، ص 115.
- ^{ix} - وداد بن عافية: الشَّعْرُ النِّسْويُّ الجَزائريُّ سياق التكوين، البنية وإبدالاتها، ص 71، 72.
- ^x - نعيمة نقري: نُون، دار ميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2014، ص 36.
- ^{xi} - الأخضر بن السايح: الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو العدد 4، المجلد 4، 2009، ص 72.
- ^{xii} - زهرة خفيف: مملكة بلقيس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د ط، 2014، ص 56، 57.
- ^{xiii} - أحمد الزغي وأخرون: الكتابة والتمثيل-المهجريّة الجديدة- الأدب النسوي، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1999، ص 24.
- ^{xiv} - حليلة قطاي: حين تنزلق المعارج.. إلى فيها، موقف للنشر، الجزائر، د ط، 2015، ص 11، 12.
- ^{xv} - ليلى محمد بلخير: خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية، حسين رأس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، د ط 2016، ص 277.
- ^{xvi} - وداد بن عافية: الشَّعْرُ النِّسْويُّ الجَزائريُّ سياق التكوين، البنية وإبدالاتها، ص 71، 72.